والقول بالتشريك من الأباطيل فكان الاقتصار على الجلالة أولى واحتج من قال بالتفضيل بأن عالم القلب
مشحون بغير الله فلا بد من كلمة النفي في الابتداء لتمحق تلك الآثار فإذا انمحقت وزالت فكلمة الجلالة أولى
إذ لا فائدة في النفي حينئذ وهذا هو المختار من كلام الأخيار بل هو الحق الذي ما عليه غبار إذ لا بد في الابتداء
من محو الآثار ولا اشتغال بعد ذلك إلا بذكر الحبيب مجردًا عن الأغيار وهل يليق بمن لا يشهد إلا الله أن ينفي ما عداه
بل لا يمكنه ذلك لأنه لم ير ما سواه فالاشتغال إذًا بذلك نقص وعيب ولذا لما قيل لبعض أكابر العارفين
لم تقول الله ولا تقول لا إله إلا الله قال نفي العيب حيث يستحيل عليه العيب عيب وقيل للشبلي لم تقول الله
الله ولا تقول لا إله إلا الله فقال لا أنفي به ضدًا فقيل نريد أعلى من هذا فقال لا يجري على لساني كلمة الجحود فقيل
نريد أعلى من هذا فقال أخشى أن أوخذ في وحشة الجحد فقيل نريد أعلى من هذا فقال قل الله ثم ذرهم في
خوضهم يلعبون القصة إلى آخرها وقال رحمه لولا أنك أمرتنا بهذا الذكر ما ذكرت معك غيرك يقول
العبد الفقير كان الله له وهذا في الذكر الذي يتوجه به إلى الله تعالى للوصول إليه وأما غيره فما يجريه الله
على القلب أو اللسان وينشرح القلب به ويحصل به الفتح الرباني فهو الأفضل والأكمل **الثانية** قال الشيخ ابن
الجزري رحمه الله تعالى في الحصن الحصين وكل ذلك مشروع واجبًا كان أو مستحبًا لا يعتد بشيء منه
حتى يتلفظ به ويسمع نفسه قال شارحه الملا علي قاري عليه رحمة الباري وهذا الإسماع أقل الإخفا
عند الجمهور وفي مذهبنا هو القول المشهور وقيل أقله تصحيح الحروف وهو مجرد التلفظ من غير أن
يكون هناك صوت ليسمع وهذا كله فيما أمر الشارع بأن يذكر باللسان كما في قراءة الصلاة وتشهدها
وتسبيحاتها وتكبيراتها وسائر أذكارها وأدعيتها وليس معناه أن من يذكر الله بقلبه من غير أن يتلفظ بلسانه
لا يكون في الشرع معتدًا به لأن مداومة الذكر لاستحضاره بدون اعتبار له بل هو أفضل أنواعه فقد أخرج
أبو يعلى الموصلي في مسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذكر الخفي
الذي لا يسمعه الحفظة سبعون ضعفًا إذا كان يوم القيامة جمع الله الخلائق لحسابهم وجاءت
الحفظة بما حفظوا وكتبوا قال لهم انظروا هل بقي له من شيء فيقولون ما تركنا شيئًا مما علمناه
وحفظناه إلا وقد أحصيناه وكتبناه فيقول الله إن لك عندي حسنًا لا تعلمه وأنا أجزيك به
وهو الذكر الخفي ذكره السيوطي في البدور السافرة في أحكام الآخرة وفي الجامع خير الذكر الخفي وخير
الرزق ما يكفي كما رواه أحمد وابن حبان والبيهقي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه انتهى

يقول الفقير كان الله له وأنت إذا تأملت قوله تعالى واذكر ربك في نفسك الآية وجدته ثلاثة
أنواع نفسي وسري وجهري وفضلها على ترتيبها **وقال** الأستاذ أبو القاسم القشيري رحمه الله
في رسالته والذكر على ضربين ذكر باللسان وذكر بالقلب فذكر اللسان به يصل العبد إلى استدامة
ذكر القلب والتأثير لذكر القلب فإذا كان العبد ذاكرًا بلسانه وقلبه فهو الكامل في وصفه في حال
سلوكه **وقال** أيضًا وقيل الذكر الخفي لا يرفعه الملك لأنه لا اطلاع له عليه فهو سر بين العبد وبين
الله سبحانه وتعالى **وقال** النووي رحمه الله تعالى في أذكاره الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان
والأفضل منه ما كان بالقلب واللسان جميعًا فإذا اقتصر على أحدهما فالقلب أفضل والنقل في هذا
الباب كثير لا سيما عن أهل الباطن العارفين بالله تعالى كيف وهو عندهم الركن الأعظم الذي
عليه مدار أسرارهم وأحوالهم فإذا عرفت ذلك فاعلم أن قول الفقهاء لا يثاب الشخص
على الأذكار إلا بفعلها باللسان إنما ذلك في الأذكار الذي طلبنا بها وجوبًا أو استحبابًا بالكمال قال
ابن الجزري وغيره لا مطلقًا فافهم ذلك فكثيرًا ما يغلط فيه كثير من طلبة العلم فضلًا عن غيرهم
ولذا قال الملا في مرقاة المفاتيح ومن الغريب أن القاضي عياض قال لا ثواب في الذكر بالقلب ومن العجيب
أن البلقيني قال وهو حق لا شك فيه ثم قال ولعل أن كلا منهما محمول على ذكر عين الشارع تلفظه و
سماعه نفسه كما قال ابن الجزري في الحصن الحصين كل ذكر مشروع أي مأمور به في الشرع واجبًا
أو مستحبًا لا يعتد بشيء منه حتى يتلفظ به ويسمع نفسه انتهى فالإطلاق غير صواب انتهى **قلت**
وهذا الحمل متعين إذ ذكر الشيخ رسلان في أذكاره عن القاضي عياض كنحو كلام النووي والقشيري
بل أحسن تفصيلًا وأجل تكميلًا **الثالثة** هل الأفضل الإسرار بالذكر أم الجهر الظاهر التفصيل بحسب
الأحوال والأشخاص فمن له جمعية وخلوة فالأفضل الإسرار في حقه ومن كان ذا تفرقة وقساوة
فالجهر أفضل له لكن بحيث لا يؤذي ولا يؤذى ولا يشوش ولا يرائي وإن كان الذاكرون جماعة فالأولى
في حقهم رفع الصوت بالذكر مع توافق الأصوات بطريقة واحدة موزونة وأما ما ذكره كثير من العلما
من حرمة الجهر به وكراهته من غير قيد فبعيد عن التحقيق وهذا فيما يقصد وأما ما يجريه الله
على القلب بحيث يصير العبد مضطرًا لذلك ومشتاقًا إليه فالجاري هو الأفضل سرًا كان أو جهرًا
واعلم أن للجهر دخلًا عظيمًا وتأثيرًا بليغًا في تصفية الباطن وتنقيته وتحليته لمن احتاج إليه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)